المنار

المجلد السادس عشر

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر ٣٠ رمضان ١٣٣١ هـ ق ١٠ الصيف الثالث ١٢٩١ ه ش ١ سبتمبر ١٩١٣

من
القدس

فتاوى المنار

افتتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، وشرط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف فلان مثلا ، وانما نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا ، وربما قدمنا متاخرا لسبب كاهمية الناس الى بلده وموضوعه وربما اجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفلة

﴿ اسئلة من البحرين ﴾

« عن حكم الحاج وترك الملوك والامراء وبعض العلماء له »

(من ٣٠ — ٣٦) لصاحب الامضاء بجزيرة البحرين

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة سيدي العلامة المصلح العليم مرشد الامة ورشيدها الفيلسوف الحكيم السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار المنير ادام الله تعالى شريف وجوده وسلام الله عليك ورحمته ورضوانه . وبعد فالداعي لتحريره عرض مسئلة عرضت لنا في هذه الايام وهو اننا عشرة أشخاص نوينا هذه السنة التوجه لحج بيت الله الحرام ، والتمتع بمشاهدة مهد الاسلام ، وبهذه المناسبة صار بيننا جدال وكلام كثير بخصوص الحج ومناسكه فالجئنا الى طلب الاستهداء من حضرتكم لارشادنا الى السبيل الأقوم والصراط المستقيم ، فعليه قدمنا هذا المكتاب مؤملين فيه الجواب من حضرتكم على هذه الاسئلة وهي : —

لنا ان الله سبحانه وتعالى قد اختار لنا الاسلام دينا وجعل هذا الدين مقاماً أركان رئيسية وهي شهادة أن لا إله الا الله وأن محمد رسول الله وإقام الزكاة وصوم رمضان والحج الى بيت الله الحرام من استطاع اليه سبيلا. هذه هي الخمسة الاركان التي لا يكمل الاسلام الا بها — وبفضل المنار المنير وباقي كتب العلماء المصلحين الافاضل قد فهمنا المقاصد والحكم من الصلوات والزكاة والشهادتين والصيام كما قد فهمنا المقصد من الحج على الوجه العام ، ولكن اسمح لنا يا حضرة الفضال الحكيم ان نقول ان في الحج بعض أعمال لم نعرف الحكمة منها فلذلك جئنا بهذا المكتاب نلتمس منك هدايتنا الى ما جهلناه وهو

(١) ما هي الحكمة في الاجتماع على تقبيل الحجر الاسود اذ عرفنا انه حجر

عادي لا يضر ولا ينفع ولا يخفى ما في ذلك من المظاهرة الوثنية .

(٢) ما الحكمة في رمي الجمار (الجمار) في القليب (؟ في (مزدلفة)

(٣) ما الحكمة في الهرولة بين المروتين

(٤) ما المقصد في ذبح الذبائح على كثرتها ودفن لحومها في (منى) وفي ذلك ما فيه من النتائج الوخيمة التي تصدر من تعفن اللحوم اذ تنتشر الاوبئة منها ولماذا يحرم الناس من أكلها ؟ وهل ذلك لازم ومن المناسك التي لا يتم الحج الا بها على هذه الصورة ؟ ولا يخفاكم مبلغ النقود الطائلة التي يدفعها الحجاج ستوياً ثمنا لهذه اللحوم اذ هي لا تقل عن خمسين الف جنيه فما قولكم لو صرفوا هذه المبالغ على اصلاح آبار مكة وطرقها ومكاتبها وتنظيفها وعلى كل ما يعود على الحجاج بالراحة والصحة والسلامة .

(٥) اذا اقاموا دون عرفه بثمانين عن اليمين والشمال تعرف بالعلمين وكل من لم يكن خلف هذين البنائين ليس مقبول الحج مع أنه تكلف المشاق ووصل الى مادونهما ؟ وماذا يكون من خلفها مقبول الحج وهو في لهوه ولعبه وممارسة ما اعتاده في بلاده من الاعمال ؟ ومن كان دونها غير مقبول ولو كان على غير ذلك ؟ وهل هذان البنا آن حدّ فاصل بين الله والناس أو بين الجنة والنار .

(٦) نرى كثيراً من علماء الامة الاسلامية ومرشديها المصلحين منهم من عاش ومات وهو لم يحج مع انه مرّ برحل في سنته مرتين أو ثلاثا الى أوربا أو الى غيرها من البلاد ولم يذهب الى مكة مع انه كان الازم والاوجب ان يقصد مكة والحج كل موسم للنصح والارشاد . فهذا ساكن لبنان الاستاذ الامام والمرحوم السيد عبد الرحمن الكواكبي وغيرهم عاشوا وماتوا وهم لم يروا مكة في وقت الحج . وحضرتك أيضا كذلك . فما هي الاسباب يا ترى ونحن نعتقد ان امتناعكم جميعاً عن الحج لابد له من سبب فما هو ذلك السبب العظيم الذي يمنع رجال الاصلاح العظام عن الحج المقدس

(٧) وكذلك نرى ان جميع ملوك الاسلام وأمرائه وأغنيائه لا يحجون ولا نرى الحجاج سواهم الا من فقراء الهند والصين والروسيا وجاوا وبلاد العرب كحضرموت واليمن وسوريا والعراق وغيرها . وهذا كثير من سلاطين آل عثمان (الخلفاء) وامراء البيت السلطاني وأعاظم الرجال من الوزراء والحكام والاغنياء المشار اليهم بالبنان كلهم لا يحجون ولا يدور في خلد أحدهم ان يحج ، فما هو السر في ذلك يا ترى . وكم عجبنا لما سمعنا بحج أمير مصر قبل سنتين وكثر تحدث الناس في ذلك حتى نجزأ أحدهم فقال ان المقصود من حج العزيز غرض سياسي ورحلة في جهات

الحجاز لاغير وليس له مقصد في الحج قطعا . هذا ماوجهناه لحضرتكم ملتمسين التنازل بمجاوبتنا عليه ولك ياسيدنا الخيار في المجاوبة ان تكون على صفحات المنار أو كتاب مخصوص . واذ كانت في المنار تكون أعم وأنفع . وان أردت ان تجاوب على بعضها في المنار وبعضها كتابة مخصوصة فالامر اليك، ونحن قد اتكلنا بعد الله عليك ، ولنا كبير الامل ان حضرتك تهدينا الى سواء السبيل لا سيما وحجنا يتوقف على جوابكم لانه لايخفاك اننا نقصد الحج لطلب الاجر والغفران ،لاالاثم والخسران، فامطر لنا بما أعطاك الله من سعة العلم نقاب الباطل عن وجه الحقيقة أدامك الله سراجا يهتدي به من ضل عن محجة الصواب والسلام عليك من الخاص

٤ شعبان سنة ١٣٠٦ الى مصر القاهرة ناصر مبارك الخيري بالبحرين

﴿ أجوبة المنار ﴾

قد سبق لنا القول في مجلدات المنار السابقة عن حكم الحج جملة وتفصيلا، والانتقاد على ملوك المسلمين وامرائهم أنهم تركوا هذه الفريضة،وعذر الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في تأخير هذه الفريضة الى أن وافاه أمر ربه ، وكون عذرنا عين عذره . وما نظن ان السائل وأصحابه الذين أشار اليهم قد علقوا حجهم على جواب هذه الاسئلة ، ولعله قال ذلك لنبادر الى الجواب عنها ،وها نحن أولاء نبادر الى ذلك وان كان لدينا كثير من الاسئلة مقدمة عليها في التاريخ

حكمة تقبيل الحجر الاسود

ما ذكره السائل في تقبيل الحجر الأسود قد سرى اليه من شبهات النصارى والملاحدة الذين يشككون المسلمين في دينهم بأمثال هذا الكلام المبني على جهل قائليه من جهة وسوء نيتهم في الغالب من جهة أخرى. ومن عرف معنى العبادة يقطع بأن المسلمين لايعبدون الحجر الاسود ولا الكعبة ولكن يعبدون الله تعالى وحده باتباع ماشرعه فيهما . بل كان من تكريم الله تعالى لبيته أن صرف مشركي العرب وغيرهم من الوثنيين والكتابيين الذين كانوا يعظمونه قبل الاسلام عن عبادته. وقد وضعوا فيه الاصنام وعبدوها فيه ولم يعبدوه . ذلك ان عبادة الشيء عبارة عن اعتقاد ان له سلطة غيبية يترتب عليها الرجاء بنفعه لمن يعبده أو دفع الضرر عنه ، والخوف من ضره لمن لايعبده أو لمن يقصر في تعظيمه ، سواء كانت هذه السلطة ذاتية لذلك الشيء المعبود فيستقل بالنفع والضرر أو كانت غير ذاتية له بأن يُعتقد انه واسطة بين

من لجأ اليه وبين المعبود الذي له السلطة الذاتية. ولا يوجد أحد من المسلمين يعتقد أن الحجر الاسود ينفع أو يضر بسلطة ذاتية له ، ولا أن سلطته تقريب من يعبده ويلجأ اليه الى الله تعالى ، ولا كانت العرب في الجاهلية تعتقد ذلك وتقوله في الحجر كما تقول في أصنامها (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى * هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وانما عقيدة المسلمين في الحجر هي ما صرح به عمر بن الخطاب (رض) عند تقبيله ، قال « اني اعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله (ص) يقبلك ما قبلتك» رواه الجماعة كلهم أحمد والشيخان وأصحاب السنن . وقد بينا في المنار من قبل ان هذا القول روي أيضاً عن أبي بكر (رض) وروي مرفوعا الى النبي (ص) وان أثر عمر كان العمدة في هذا الباب للاتفاق على صحة سنده . قال الطبري انما قال عمر ذلك (أي مع انه معلوم من الدين بالضرورة) لان الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الاصنام فخشي ان يظن الجهال ان استلام الحجر الاسود من باب تعظيم الاحجار كما كانت العرب تفعل في الجاهلية، فاراد ان يعلم الناس ان استلامه اتباع لفعل رسول الله (ص) لا لان الحجر يضر وينفع بذاته اه

فان قلت روى الحاكم عن ابي سعيد الخدري ان عمر لما قال ذلك قال له علي بن ابي طالب كرم الله وجهه : انه يضر وينفع ، وبين ذلك بأن الله لما اخذ الميثاق على ولد آدم كتب ذلك في رق وألقمه الحجر ، وانه سمع النبي (ص) يقول «يأتي يوم القيامة وله لسان ذلق يشهد لمن استلمه بالتوحيد» فالجواب ان هذا الحديث باطل انفرد بروايته عن ابي سعيد ابو هارون عمارة بن جوين العبدي، وأهون ما قيل فيه انه ضعيف، وكذبه حماد بن زيد ، وقال يحيى بن معين ضعيف لا يصدق في حديثه ، وقال الجوزجاني ابو هارون كذاب مفتر ، وقال ابن حبان كان يروي عن ابي سعيد ما ليس من حديثه ، وقال شعبة كنت أتلقى الركبان أسأل عن أبي هارون العبدي فقدم فرأيت عنده كتابا فيه اشياء منكرة في علي (رض) فقلت ما هذا الكتاب ؟ قال : هذا الكتاب حق ، وقال شعبة أيضا : أتيت أبا هارون فقلت له اخرج الي ما سمعته من ابي سعيد، فأخرج الي كتابا فاذا فيه : حدثنا ابو سعيد ان عثمان ادخل في حفرته وانه لكافر بالله. فدفعت الكتاب في يده وقمت. وأقول إن طعنه في كل من الصهرين الكريمين يفسر لنا قول الدارقطني فيه « يتلون خارجي وشيعي » والذي يظهر لي من كلامهم هذا انه كان منافقا . فان قيل يقوي حديثه هذا حديث ابن عباس عند احمد والترمذي وغيرهما . قلت ليس في حديث ابن عباس انه ينفع ويضر وانما فيه انه يشهد لمن استلمه

بحق ، فاذا صحت هذه الشهادة مهما كانت كيفيتها في عالم الغيب فهي لاتدل على ان الحجر الاسود ملك لأحد من الناس ضرا أو نفعا هو مختار فيه ، ولا يطلب أحد من المسلمين منه هذه الشهادة بألسنتهم ولا قلوبهم فيقال ان طلبه عبادة ، وشهادة أعضاء الانسان عليه يوم القيامة اصح من شهادة الحجر وليست معبودة بهذا المعنى

بقي ان يقال اذا كان هذا الحجر لا ينفع ولا يضر كما قال عمر في الموسم تعليما للناس واقره جميع الصحابة عليه . وكان استلامه وتقبيله لمحض الطاعة والاتباع لرسول الله (ص) كما يقع في سائر العبادات ، فما هي حكمة جعل ما ذكر من العبادة ؟ وهل يصح ماقيل من ان النبي (ص) تركه في الكعبة مع أنه من آثار الشرك تأليفا للمشركين واستمالة لهم الى التوحيد؟ والجواب ان الحجر ليس من آثار الشرك ولا من وضع المشركين ، وانما هو من وضع امام للموحدين ابراهيم صلى الله عليه وآله وسلم ، جعله في بيت الله ليكون مبدأ للطواف بالكعبة يعرف بمجرد النظر اليها فيكون الطواف بنظام لا يضطرب فيه الطائفون . وبهذا صار من شعائر الله يكرم ويقبل ويحترم لذلك كما تحترم الكعبة لجعلها بيتا لله تعالى وان كانت مبنية بالحجارة . فالعبرة بروح العبادة النية والقصد ، وبصورتها الامتثال لأمر الشارع واتباع ماورد بلا زيادة ولا نقصان ، ولهذا لاتقبل جميع أركان الكعبة عند جمهور السلف وان قال به وبتقبيل المصحف وغيره من الشعائر الشريفة بعض من يرى القياس في الامور التعبدية . وتعظيم الشعائر والآثار الدينية والدنيوية بغير قصد العبادة معروف في جميع الأمم لايستنكره الموحدون ولا المشركون ولا المعطلون ، واشد الناس عناية به الافرنج فقد بنوا لآثار عظماء الملوك والفاتحين والعلماء العاملين الهياكل العظيمة ونصبوا لهم التماثيل الجميلة ، وهم لايعبدون شيئا منها ، فاعاذنا الله بكل ما يلتبس به كل قسيس أو سياسي يريد تغيير المسلمين من دينهم اذا موّه علينا في شأن تعظيم الحجر الاسود فزعم انه من آثار الوثنية ، ونحن نعلم انه أقدم أثر تاريخي ديني لأقدم أمام موحد داع الى الله من النبيين المرسلين الذي عرف شيء صحيح من تاريخهم وهو ابراهيم عليه الصلاة والسلام الذي جمع على تعظيمه مع المسلمين اليهود والنصارى ؟

وبقي من حكمة استلام الحجر وتقبيله ماعتمده الصوفية فيها أخذا عما ورد في بعض الاحاديث الضعيفة كحديث علي السابق ، وحديث ابن عباس « الحجر الاسود يمين الله في أرضه » رواه الطبراني وهو أنه رمز لمبايعة الله تعالى فكأن الحجر يمين الله تعالى ومستلمه مبايع له على توحيده والاخلاص له واتباع دينه الحق ، والاعمال

الرمزية معروفة في جميع الاديان الاهلية ، وقال المهلب : حديث عمر يرد على من قال ان الحجر يمين الله في الارض يصافح بها عباده . ومعاذ الله ان تكون لله جارحة ، وانما شرع تقبيله اختباراً ليعلم بالمشاهدة طاعة من يطيع ، وذلك شبيه بقصة ابليس حيث أمر بالسجود لآدم . اه وليس مراد من قال انه يمين الله ان لله جارحة ، وانما أراد ما ذكرنا ، والعمدة في رد هذا القول عدم صحة الحديث فيه ، فان صح وجب قبوله ومعناه ظاهر . قال الخطابي معنى كونه يمين الله في الارض ان من صافحه في الارض كان له عند الله عهد . وجرت العادة بان العهد يعقده الملك بالمصافحة لمن يريد موالاته والاختصاص به فخاطبهم بما يعهدونه . وقال المحب الطبري : ان كل ملك اذا قدم عليه الوافد قبل يمينه ، فلما كان الحجاج أول ما يقدم من له تقبيله نزل منزلة يمين الملك ، ولله المثل الأعلى اه

ولعمري لو أن ملوك الافرنج وعلماؤهم أمكنهم ان يشتروا هذا الحجر العظيم لتغالوا في ثمنه تغالياً لا يتغالون مثله في شيء آخر في الارض ، ولوضعوه في أشرف مكان من هياكل التحف والآثار القديمة ، ولجج وفودهم الى رؤيته وتمنى الملايين منهم لو تيسر لهم لمسه واستلامه . وناهيك بمن يعلم منهم تاريخه وكونه من وضع ابراهيم أبي الانبياء عليهم السلام وانهم ليتغالون فيما لا شأن له من آثار الملوك أو الصناع.

هذا وان من مقاصد الحج النافعة تذكر نشأة الاسلام دين التوحيد والفطرة في أقدم معابده ، واحياء شعائر ابراهيم التي طمستها وشوهتها الجاهلية بوثنيتها فطهرها الله ببعثة ولده محمد الذي استجاب الله به دعوته « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم » عليهما الصلاة والسلام . روى أحمد وأصحاب السنن والحاكم عن يزيد بن شيبان قال أتانا ابن مربع (كنيته واسمه يزيد) الانصاري ونحن بعرفة في مكان يباعده عمرو عن الامام (١) فقال اما اني رسول رسول الله (ص) اليكم يقول لكم « قفوا على مشاعركم فانكم على ارث من أبيكم ابراهيم » هذا سياق أبي داود وقد سكت عليه . وقال الترمذي حديث ابن مربع الانصاري حديث حسن لا نعرفه الا من حديث ابن عيينة عن عمرو بن دينار

وجملة القول ان مناسك الحج من شريعة ابراهيم وقد أبطل الاسلام كل ما ابتدعته الجاهلية فيها من وثنيتها وقبيح عملها كطوافهم بالبيت عراة وان الكعبة من بناء ابراهيم

(١) هذه الجملة مدرجة في الحديث ادرجها رواية عمرو بن دينار ومعناها انهم في مكان بعيد عن موقف الامام بحيث لا يسمعون كلامه . فقوله يباعده عمرو يعني بذكر عمرو بن عبد الله ابن صفوان التابعي أنه بعيد عن الامام الاعظم (ص) أي فلذلك ارسل اليهم رسولا

واسماعيل عليهما السلام كما هو ثابت عند العرب بالاجماع المتواتر بينهم وكانوا يعظمونها هم والامم المجاورة لهم بل والبعيدة عنهم كالهنود ، ومن الثابت أيضاً انهم لما جددوا بناءها أبقوا الركنين اليمانيين على قواعد ابراهيم وانما اقتصروا من جهة الركنين الشاميين ، ولذلك ورد استلام الركنين اليمانيين دون غيرهما ويقال لأحدهما الركن الأسود لان فيه الحجر الاسود وللآخر اليماني فاذا ثنوهما قالوا اليمانيين تغليباً كما يقولون في تثنية الركن الشامي والركن العراقي الشاميين . ولما كانت الكعبة قد جدد بناؤها قبل الاسلام وبعده لم يبق فيها حجر يعلم باليقين انه من وضع ابراهيم الا الحجر الاسود لامتيازه بلونه وبكونه مبدأ للطواف كان هو الاثر الخاص المذكر بنشأة الاسلام الاولى في ضمن الكعبة المذكرة بذلك بوضعها وموضعها وسائر خصائصها ، زادها الله حفظاً وشرفاً . وقد علم بهذا ان الحجر له مزية تاريخية دينية وان كان الاصل في وضعه بلون مخالف للون البناء اهتداء الناس بسهولة الى جعله مبدأ للطواف . ولنا مع علمنا بهذا ان نقول ان لله تعالى ان يخصص ما شاء من الاجسام والامكنة والأزمنة لروابط العبادة والشعائر ، فلا فرق بين تخصيص الحجر الاسود بما خصصه به وبين تخصيص البيت الحرام والمشعر الحرام وشهر رمضان والاشهر الحرم ، ومبنى العبادات على الاتباع لا على الرأي

﴿ حكمة رمي الجمار ﴾

اذا وعيت ما تقدم كان نورا بين يديك تبصر به حكم سائر مناسك الحج أعني انها مما تعبدنا الله تعالى بها لتغذية إيماننا بالطاعة والامتثال سواء عرفنا سبب كل عمل منها وحكمته أم لا ، ولانها احياء لدين ابراهيم أبي الانبياء وامام الموحدين المخلصين ، وتذكير بنشأة الاسلام ومعاهده الاولى ، وان لاستحضار ذلك لتأثيراً عظيما في تهذيب الايمان وتقوية الشعور به ، والثقة بانه دين الله الخالص الذي لا يقبل غيره ، فان جهلنا سبب شرع بعض تلك الأعمال أو حكمتها لا يضرنا ذلك ولا يثنينا عن اقامتها ، كما اذا ثبت لنا نفع دواء من الادوية مركب من عدة أجزاء وجهلنا سبب كون بعضها أكثر من بعض ، فان ذلك لا يثنينا عن استعمال ذلك الدواء والانتفاع به ، ولا يدعونا الى التوقف وترك استعماله الى ان نتعلم الطب ونعرف حكمة اوزان تلك الاجزاء ومقاديرها .

أبسط ما يتبادر الى الذهن من منشإ هذه العبادة ان هذه المواضع التي تسمى

الجمرات كانت من معاهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فشرع لنا ان نقف عند كل واحدة منها نكبر الله سبع تكبيرات نرمي عند كل تكبيرة حصاة صغيرة بين أصابعنا نعد بها التكبير ، والعدد بالحصى - ومثله النوى في مثل الحجاز - من الامور المعهودة عند الذين يعيشون عيشة السذاجة ، فنجمع بهذا الذكر بهذه الكيفية بين إحياء سنة ابراهيم الذي اقام الدين الحق في هذه المعاهد وبين التعبد لله تعالى بكيفية لاحظ للنفس ولا محل للهوى فيها. والعبادة منها شعائر يجتمع لها الناس وتقصد الامة بعملها إظهار الدين والاجتماع والتآلف على عبادة الله تعالى ، وكل أعمال الحج من هذا القبيل ، ومنها ما يقصد به تربية كل فرد نفسه وتزكيتها فقط كالتهجد وذكر الله في الخلوة ، فلا يقال ان الذكر والتكبير لا يختص بذلك الزمان والمكان ، لان هذا القول لا يصح الا في غير الشعائر اذ الشعائر لا بد فيها من التخصيص والتوقيت لأجل جمع الناس عليها بنظام كالأذان وصلاة الجماعة والجمعة والعيدين .

أما كون رمي الجمار شرع لذكر الله تعالى فسيأتي حديث عائشة المصرح به في جواب السؤال التالي ، واما سبب وقوف ابراهيم في تلك المعاهد لذكر الله وتكبيره وعده بالحصى فلا يضرنا جهله ، ويكفينا ان نقتدي به في هذه الشعيرة كشعيرة الطواف وغيرها من المناسك . وورد في بعض الاحاديث الضعيفة السند ان ابليس عرض له هنالك أي يوسوس له ويشغله عن اداء المناسك فكان يرميه كل مرة فيخنس ثم يعود . روى الطبراني والحاكم والبيهقي عن ابن عباس « لما أتى خليل الله المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الارض ثم عرض له عند الجمرة الثانية فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الارض » ثم ذكر الجمرة الثالثة كذلك

وروى عن محمد بن اسحق قال: « لما فرغ ابراهيم عليه السلام من بناء البيت الحرام جاءه جبريل عليه السلام فقال له : طف به سبعاً » ثم ساق الحديث وفيه انه لما دخل منى وهبط من العقبة تمثل له ابليس عند جمرة العقبة فقال له جبريل كبر وارمه سبع حصيات ، (فرماه) فغاب عنه ، ثم برز له عند الجمرة الوسطى فقال له جبريل كبر وارمه فرماه ابراهيم سبع حصيات ثم برز له عند الجمرة السفلى فقال له جبريل كبر وارمه ، فرماه سبع حصيات مثل حصى الخذف ، فغاب عنه ابليس . ثم مضى ابراهيم في حجه - الحديث . وليس تمثل الشيطان للانبياء ولا ظهوره لهم بغريب في قصصهم ففي الانجيل المعتمد عند النصارى انه ظهر للمسيح عليه السلام وجربه تجارب طويلة . فاذا صح ان ابليس عرض لابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في اثناء أداء مناسكه

بظهور ذاته أو مثاله أو بمجرد التصدي للوسوسة والشغل عن ذكر الله تعالى فلا غرابة في قذفه ورجمه كما يطرد الكلب ، فمن المعروف في الاخلاق والطباع أن يأتي الانسان بعمل عضوي يظهر به كراهته لما يعرض له حتى من الخواطر القبيحة ودفعه عنه وبراءته منه ، فأخذ الحصيات ورميها مع تكبير الله تعالى من هذا القبيل ، وان حركة اليد المشيرة الى البعد لتفيد في دفع الخواطر الشاغلة للقلب .. والرجم بالحجارة بقصد الدلالة على السخط والنبري أو الاهانة معهود من الناس وله شواهد عند الامم كرجم بني اسرائيل مع يشوع النبي (يوشع عليه السلام) لعجان ابن زراح واهله وماله من ناطق وصامت كما في ٧ : ٢٤ و ٢٥ من سفر يشوع ، وكرجم النصارى لشجرة التين التي لعنها المسيح ، ورجم العرب في الجاهلية لقبر ابي رغال في المغمس بين مكة والطائف لأنه كان يقود جيش أبرهة الحبشي الى مكة لاجل هدم الكعبة حرسها الله تعالى . والعمدة في رمي الجمار ما تقدم من قصد التعبد لله تعالى وحده بما لاحظ للنفس فيه اتباعا لابراهيم اقدم رسل الله الذين بقيت آثارهم في الارض ، ومحمد خاتم رسل الله ومكمل دينه ومتممه الذي حفظ دينه كله في الارض ، صلى الله عليهم أجمعين

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في بيان أسرار الحج من الاحياء : « وأما رمي الجمار فليقصد به الانقياد للامر اظهاراً للرق والعبودية . واتهاضا لمجرد الامتثال ، من غير حظ للعقل والتفن في ذلك . ثم ليقصد به التشبه بابراهيم عليه السلام حيث عرض له ابليس لعنه الله تعالى في ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية ، فأمره الله عز وجل أن يرميه بالحجارة طرداً له وقطعاً لامله . فان خطر لك أن الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه وأما أنا فليس يعرض لي الشيطان ، فاعلم ان هذا الخاطر من الشيطان ، وانه الذي ألقاه في قلبك ليفتر عزمك في الرمي ، ويخيل اليك انه فعل لا فائدة فيه ، وانه يضاهي اللعب فلم تشتغل به ؟ فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير في الرمي ، فبذلك ترغم أنف الشيطان . واعلم أنك في الظاهر ترمي الحصى الى العقبة وفي الحقيقة ترمي به وجه الشيطان وتقصم به ظهره ، اذ لا يحمل ارغام أنفه الا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيما له بمجرد الامر ، من غير حظ للنفس والعقل فيه » اهـ

﴿ حكمة الرمل في الطواف والسعي بين الصفا والمروة ﴾

الطواف بالكعبة المعظمة والسعي بين الصفا والمروة من مناسك الحج وشعائر

الاسلام ، من عهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، وروي أن هاجر رضي الله تعالى عنها كانت تسعى بينهما والهة حيرى عند حاجتها الى الماء زمن ولادتها اسماعيل حتى هداها الله تعالى الى بئر زمزم . والعمدة في هذه العبادة ماذكرناه في الكلام على رمي الجمار من اقامة ذكر الله تعالى في هذه المعاهد التي هي أقدم معاهد التوحيد المعروفة في الارض واحياء سنن المرسلين فيها ، قال صلى الله عليه وآله وسلم « انما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لاقامة ذكر الله » رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح من حديث عائشة . واذكاره معروفة في المناسك. وأما الرمل فيه فهو سنة نبينا (ص) خاصة ومعناه سرعة في المشي مع تقارب الخطوات من غير عدو ولا وثب، ويسمى الخبب أيضاً فهو دون العدو وفوق المشي المعتاد ، فان زادت السرعة كان عدوا

أما سبب الرمل في الطواف والسعي بهمة ونشاط بين الصفا والمروة فهو كما يؤخذ من عدة أحاديث اظهار قوة المسلمين للمشركين، وكان قد علم النبي (ص) ان المشركين قالوا عام الحديبية في المؤمنين قد أوهنتهم حمى يثرب، وروي في الصحيح أيضاً أن النبي (ص) لما قدم مكة لعمرة القضاء قال المشركون ان محمداً وأصحابه لا يستطيعون أن يطوفوا بالبيت من الهزال . لذلك أمر (ص) أصحابه أن يرملوا في ثلاث طوفات ويمشوا في أربع من الاشواط السبعة من طواف القدوم فقط . وكان خطر لعمر بن الخطاب أن يتركه لان النبي (ص) فعله لسبب عارض، ثم بدا له فمضى عليه لانه علم أن المحافظة على ما فعله النبي (ص) ولم ينه عنه كالمحافظة على ما كان فعله جده ابراهيم (ص) ان لم تكن أولى، روى أبو داود وابن ماجه عنه أنه قال: « فيم الرملان اليوم والكشف عن المناكب وقد أطأ الله الاسلام (أي وطأه وأحكمه) ونفى الكفر وأهله؟ مع ذلك لا ندع شيئا كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » وأصله في البخاري بلفظ « فقالنا والرمل انما كنا راءينا به المشركين وقد أهلكهم الله — ثم قال — هو شيء صنعه رسول الله (ص) فلا نحب أن نتركه » وقوله « راءينا » مشاركة من الرؤية أي أريناهم قوتنا واننا لا نعجز عن مقاومتهم . وقيل هو من الرياء بمعنى اراءة ما هو غير الواقع أي أريناهم من الضعف قوة . والرياء مذموم لانه خداع والخداع جائز في الحرب وهذا من قبيل الحرب . وقوله في الرواية الاولى « والكشف عن المناكب » معناه الاضطباع وهو أن يؤخذ الرداء من تحت إبط اليد اليمنى فيلقى على كتف اليسرى فتظهر المناكب ، وحكمته عين حكمة الرمل ، وقيل انما هو لاجل التمكن منه .

وقد ورد في الصحيح أن المشركين قالوا عند ما رأوا النبي (ص) وأصحابه يرملون مضطبعين : هؤلاء الذين زعمتم ان الحمى قد وهنتهم أجلد من كذا وكذا . وفي رواية أجلد منا .

فعلم من هذا ان الرمل أو الهرولة كما قال السائل انما شرعت في الطواف لسببه وانما نحافظ عليه لتمثيل حال سلفنا الصالحين رسول الله (ص) وأصحابه (رض) اتباعاً وتذكراً لنشأة الاسلام الاولى في عهدهم ، وهل توجد أمة من الامم غيرنا تعرف من نشأة دينها هذه الدقائق يقين ؟ لا لا فالحمد لله رب العالمين

﴿ حكمة ذبائح النسك . ودفن لحومها في منى ﴾

حكمة ذبائح الهدي والاضاحي معروفة لا يجهلها عامة المسلمين ، وهي طاعة الله تعالى وتقواه واظهار نعمته بتوسعة المسلمين على أنفسهم وعلى الفقراء والمساكين في ايام العيد التي هي ايام ضيافة الله للمؤمنين ، وهي من مناسك الحج لانها إحياء لسنة ابراهيم وتذكر لنعمة الله عليه وعلى الناس بفداء ولده اسماعيل من الذبح الذي ابتلاه الله واختبره به لتظهر قوة ايمانه بالله تعالى وايثاره لرضاه . ونعمة الله بذلك على الناس كافة انما هي من حيث ان اسماعيل هو جد محمد (صلى الله عليهما وسلم) الذي ارسله الله تعالى خاتما لرسله وهاديا للناس كافة .

قال تعالى في البدن التي تنحر للنسك في (فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا البائس الفقير) وقال في ذبائح النسك عامة (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) الآية . واما دفن لحومها في هذه الأزمنة التي كثرت فيها الحجاج وقلت مرافقهم ومعرفة حكامهم باحكام الدين وحكمه فليس من الدين في شيء ، وانما هو من الجهل بأمر الدين والدنيا . ولو كان للحجاز حكومة عاقلة رشيدة لعرفت كيف تحفظ ما زاد عن حاجة الناس من تلك اللحوم بجعل بعضها قديدا ، وبعضها مقليا من النوع الذي يقال له (قاورمه) ولأفاضت منها على فقراء الحرم طول سنتهم ، وها نحن أولاء نرى الامم العاملة التي تعرف كيف تستفيد من جميع نعم الله تعالى تنقل اللحوم الغريض والسمك الطري من قطر الى قطر ، حتى ان الغنم تذبح في استرالية ويباع لحمها في مصر من شمالي أفريقية وفي شمال أوربة أيضا ، ونحن قد جعلنا حسنات ديننا سيئات بسوء تصرفنا فصرنا حجة عليه في نظر الأمم كلها وهو حجة علينا عند الله تعالى . واذا جاز ان تترك هذه الذبائح ويتفق ثمنها فيما ذكر السائل فمن يضمن

ان يقوم الناس بذلك ؟ كلا إن هذا شعار لا يقوم غيره مقامه ، ولو كان للمسلمين من الاهتمام بعمران الحرمين وخدمة الحجاج ما أشار السائل اليه لما توقف قيامهم به على تركهم هذا النوع من النسك

فان كان في الانعام التي تذبح هنالك ما يضر لحمه الآكلين ، وعرف ذلك بشهادة الاطباء والعارفين ، فالواجب على الحكومة ان تمنع دخول هذا النوع الضار حتى لا يسوق الناس الى الحرم من الغنم وغيرها من النعم الا كل صحيح لا يخشى منه ضرر .

﴿ العلماء وحكمة حدود عرفة ﴾

اذا كان من أركان الحج الوقوف بعرفة وجب ان يكون لعرفة حدود معينة والا بطل معنى فرضية الوقوف فيها ، وهكذا كل عبادة اعتبر في فرضيتها مكان أو زمان كالطواف والسعي بين الصفا والمروة وصيام رمضان وكون الصيام من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، لا تحصل العبادة ان خرج عن الحد المكاني او الزماني . واما مسألة القبول فهي شيء آخر : ما كل من أتى بأعمال العبادة الظاهرة نجزم بأن عمله مقبول عند الله تعالى ، اذ يجوز ان يكون مرائيا بعمله غير مخلص فيه ، وانما يتقبل الله من المتقين المخلصين ، ولكن المخلص اذا لم يأت بالعمل الذي فرضه الله تعالى كما فرضه تعالى بحدوده من زمان ومكان ، فلا مجال للقول بان عمله مقبول لأن العمل لم يوجد ، فمن سعى الى الحج ولم يدرك الوقوف بعرفة وراء العلمين الذين هما أول حد عرفة لم يدرك الحج حتى يبحث في قبول حجه وعدم قبوله ، ومثله مثل من سعى الى صلاة الجمعة ولم يدرك ركعة منها مع الامام لا يقال ان جمعته مقبولة أو غير مقبولة لأنه لا جمعة له وان سعى اليها من أول النهار مخلصا لله في ذلك ، ولكن الله لا يضيع أجر من سعى الى الحج أو الجمعة أو غيرهما من العبادات مع الاخلاص فيثيبه على ذلك وان لم يسقط عنه الفرض ، وكان لا بد في الجمعة من صلاة الظهر وفي الحج من اداءه تاما في ميقاته . وقد علم مما ذكرنا ان العلمين حد لعرفة لا حد بين الله والناس ، ولا بين الجنة والنار

﴿ ترك بعض العلماء لفريضة الحج ﴾

الحج فرض على من استطاع اليه سبيلا وهو على التراخي لا الفور اذا وجد العذر ، والخلاف في المسألة مشهور . ولم يحج رسول الله (ص) الا في آخر سنة من عمره ولكنه اعتمر قبل ذلك . ومن ترك الحج وهو يستطيع السبيل اليه حتى مات ، مات عاصيا لله تعالى . ولا يقتدى به ولا يعد تركه اياه عذرا لغيره . والسائل يقول

انه يرى كثيرا من علماء الامة ومرشديها المصلحين لم يحجوا ، وانا لا اعرف أحدا من العلماء المصلحين ولا غيرهم من الجامدين الراضين بحال المسلمين السيئة ترك الحج بغير عذر حتى مات . وقد ذكر السائل منهم الاستاذ الامام والسيد الكواكبي رحمهما الله تعالى وذكرني معهما . فاما الكواكبي فهو من علماء الاجتماع والسياسة لا من علماء الدين وان كان له مشاركة ما في الفقه ونحوه لا تنكر ولا أدري احج أم لا ، وانا ماعرفته الا في مصر ولم يكن ذا سعة فيها ، نعم انه ساح بعد هجرته الى مصر في جزيرة العرب ثم عاد اليها ، ولكن بمساعدة من بعض الناس ، ومن لا يستطيع الحج الا بمال غيره لايجب عليه الحج ، ولا ان يقبل تبرع غيره له بنفقته ان هو تبرع

واما الاستاذ الامام فانا أعلم انه كان عازما على الحج وقد سمعت ذلك من لسانه وانه يريد أن يقيم في المدينة المنورة وما جاورها طائفة من الزمن ويبحث عن مواضع غزوات النبي {ص} بحثا يستعين به على ما كان ينويه من الكتابة في تاريخ الاسلام ، وتحرير سيرته عليه الصلاة والسلام ، وقد بينت عذره وعذري وسبب تأخيرنا الحج من قبل ، فمن ذلك قولي في تفسير قوله تعالى (ومن دخله كان آمنا) من جزء التفسير الرابع ما نصه : ان كثيرا من امراء المسلمين ونابغيهم يعلمون ان دون أهدافهم لفريضة الحج عقبات سياسية لا يسهل اقتحامها ، وقد جاء في صحف الاخبار أن أمير مصر استأذن السلطان في حج والدته وبعض أمراء اسرته فلم يأذن. وقد كان الاستاذ الامام يعتقد اعتقادا جازما فيه انه اذا حج يلقي بيديه الى التهلكة ، وانه لا امان له في الحرم الذي كان يرى الجاهلي فيه قاتل ابيه فلا يعرض له بسوء . وان كاتب هذه السطور يعتقد مثل هذا الاعتقاد فنسأل الله تعالى ان يحقق لنا ثانية مضمون قوله تعالى (ومن دخله كان آمنا) لنمتثل مافرضه علينا من حج هذا البيت » الخ

وأقول الآن قد ظهرت صحة اعتقاد الاستاذ واعتقادنا هذا في مرض موته حين قبضت الحكومة الحميدية العثمانية في بيروت على الحاج محي الدين حماده عند عودته من مصر لانه كان ضيفا له وكانت بنت أخيه زوجا له ، وأخذت أوراقه وحبسته على وجاهته وحسن سيرته وبعده عن السياسة ومذاهبها ، ثم علمنا ان الحكومة كانت ترسل العسكر بعد ذلك ليلا لمراقبة سواحل بيروت وما يجاورها لانه بلغها ان الاستاذ يريد النزول فيها ! وكانت هذه الحكومة قبل ذلك وبعده تصادر كل كتاب يدخل المملكة العثمانية اذا وجد عليه أو فيه اسم محمد عبده أو اسم المنار ، أو مطبعة المنار ، دع اسم صاحب المنار . ونعلم أيضاً ذكر هذه الاسماء في الجرائد ، ويعلم قراء المنار في زمن عبد الحميد انه

كان ممنوعا من مماليكه وان والدي مات والعسكر يحيط بداره وكان أخي في السجن لان المنار وجد عنده ، وكانت الحكومة تعاقب كل من تعلم انه يقرأ المنار او يكاتب صاحبه . والسبب في ذلك كله وسوسة جواسيس السوء للسلطان عبد الحميد بانها تريد اقامة خلافة قرشية عربية في الحجاز أو غير الحجاز وكان من هؤلاء الجواسيس مصطفى باشا كامل

خلع السلطان عبد الحميد بعد وفاة الاستاذ الامام فظهر ورثته من الاتحاديين بعداء للعرب أشد خطرا علينا مما كان من عداء عبد الحميد لنا ، جئنا الآستانة وحاولنا أن نفهمهم بحسن نية العرب ووجوب انصافهم فلم نستطع . ثم جعلوا صاحب هذه المجلة من أعدى أعدائهم وذنبه عندهم انه يدعو الى النهضة العربية ، فكان قصد الحج في هذه المدة مما يقوي سوء ظنهم ، ولا يؤمن مع غدرهم ، وقد صادروا المنار في بريدهم ، ومنعوا دخوله لبلادهم ، كما فعل عبد الحميد لمثل ذلك السبب ، وقد صار خلفاء مصطفى كامل من زعماء الحزب الوطني وكتاب جرائده جواسيس لهم كما كان زعيمهم جاسوسا لعبد الحميد ، ويتهموننا بما كان يتهمنا به وفي مقدمتهم محمد بك فريد والشيخ عبد العزيز شاويش ، ولكننا دخلنا مع الاتحاديين الآن في طور جديد يرجى ان تحمى فيه سعاية الجواسيس ، فقد اعترفوا بانا نطلب حقا واجابونا الى بعضه رسميا ووعدوا بالباقي وعدا مؤكدا . فعسى أن يتم الاتفاق ، ويمحو آية الشقاق ، ويكون قد ظهر لهم حسن نيتنا واخلاصنا نحن وسائر طلاب الاصلاح من قومنا لهذه الدولة ، وحرصنا على تعزيزها واصلاح شأنها ، وهذا ما يظهرونه لنا الآن ، وقد بلغونا ان منع المنار قد ارتفع . ويترتب على حسن نيتهم في العرب رضاهم بسريان الحجاز ، وعدم خوفهم من زيارة طلاب الاصلاح له في النسك وغير النسك ، وحينئذ نرجو ان يوفقنا الله في العام القابل لاداء الفريضة بفضله وكرمه

﴿ ترك ملوك المسلمين وأمرائهم وأغنيائهم للحج ﴾

سبق لنا في مجلدات المنار السابقة الانتقاد على سلاطين آل عثمان وملوك ايران وغيرهم من أمراء المسلمين ترك فريضة الحج ، ولكن لم يخطر في بالنا ان أحدا من المسلمين يقتدي بهؤلاء الملوك والسلاطين في ترك هذه الفريضة ، وكذلك الاغنياء المترفون لا يصح أن يكونوا قدوة في ذلك ولا أن يكونوا شبهة من الشبهات على الحج . ومن سوء الظن القبيح أن يقول مسلم ان حج عزيز مصر الامير عباس الثاني كان لغرض سياسي ، وأي غرض سياسي يتوقف على اداء المناسك الحج ؟ على ان كثيرا من الاغنياء يحجون فان كان غير الاغنياء أكثر حجا فذلك لانهم في أنفسهم أكثر عددا ، وأقل فسقا وبرا . هذا ما نراه كافيا في جواب هذه الاسئلة فعسى ان يراه السائل كذلك ، والله الموفق .